

## نسبة الحجّة إلى ابن خالويه افتراءً عليه

الأستاذ صبحي عبد المنعم سعيد

دأب بعضُ المحرّرين في نسبة كتاب الحجّة في قراءات الأئمة السبعة إلى الإمام اللغوي أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ، وأشهر هؤلاء المستشرق بروكلمان الذي ذكر عنوان الكتاب ضمن مصنفات ابن خالويه ، وأشار إلى نسخته اليتيمة في دار الكتب المصرية<sup>(١)</sup> . ومن هؤلاء المحدثين الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي الذي اتخذ كتاب الحجّة مصدراً من مصادر كتابين له : الأول بحجته الذي نال به درجة « الدكتوراه » : أبو علي الفارسي وأثره في القراءات والنحو<sup>(٢)</sup> ، وقد عقد في هذا البحث فصلاً بعنوان بين الفارسي وابن خالويه في الاحتجاج<sup>(٣)</sup> ، واعتمد لبيان آراء ابن خالويه كتاب الحجّة وحده ! وثاني هذين الكتابين رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات . أما الدكتور عبد العال سالم مكرم فقد أكد هو أنه اتخذ كتاب الحجّة مصدراً في بحجته الذي نال به درجة « الدكتوراه » : القرآن الكريم وأثره في الدراسات

(١) بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة د. النجار ، القاهرة ، ١٩٦١ م ، ج ٢ ، ص ٢٤١ . وأيضاً Fuat Sezgin, *Geschichte des Arabischen Schriftung*, Leiden, 1967, band II, p. 18 .

(٢) القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٣١٠ وما بعدها

(٣) القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٤٢ ، ٦٠ ، ٦١

النحوية<sup>(١)</sup>، ولكنه لم يكتف بذلك بل زاد فحقق كتاب الحججة وقدم له موثقاً نسبته إلى ابن خالويه، موضحاً سبب عنايته بالكتاب.

وقبل أن يتم طبع كتاب الحججة نشر د. عبدالعال سالم مقدمة التحقيق ملخصة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق بعنوان: كتاب الحججة لابن خالويه في القراءات السبع - توثيقه - منهجه<sup>(٢)</sup>، ثم نشرت هذه المقدمة كاملة في مجلة اللسان العربي بعنوان ابن خالويه اللغوي ونسبة كتاب الحججة إليه<sup>(٣)</sup> ثم نشرها مرة ثالثة في صدر كتاب الحججة نفسه<sup>(٤)</sup>، ولقد نشر أدلة التوثيق مرة رابعة في مجلة اللسان العربي<sup>(٥)</sup> شارحاً إياها في رده على ناقده الأستاذ محمد العابد الفاسي كما سنذكر بعد.

والدكتور عبدالعال سالم يبدو، من خلال مقدمته مكررة النشر، موقناً تمام اليقين بصحة نسبة كتاب الحججة إلى أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه فهو يقول: «وبعد جهد استغرق ما يقرب من عامين في دراسة هذا الكتاب ودراسة مؤلفات ابن خالويه استطعت أن أصدر حكمي في ثقة لا تعرف التردد وبإيمان لا يعرف الشك أن هذا الكتاب نسبته إلى ابن خالويه صحيحة». ثم يسوق محقق الحججة بعد هذا القول، الذي حسبه فصلاً، أدلة ثمانية بنى عليها يقينه هو.

وقد طالع الأستاذ محمد العابد الفاسي أدلة توثيق الحججة فلم يقتنع بها وكتب

(١) القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨، وقد خلا فهرس مراجع الكتاب من ذكر كتاب الحججة.

(٢) المحرم ١٣٩٠ هـ نيسان «ابريل» ١٩٧٠ م ص ٣٤٢ - ٣٥٧

(٣) الرباط، كانون الثاني «يناير» ١٩٧١، ج ١ ص ٥٠٢ - ٥٢٠

(٤) الحججة في القراءات السبع، بيروت، ١٩٧١، ص ٣ - ٣٢

(٥) حول نسبة كتاب الحججة في القراءات السبع لابن خالويه، مجلة اللسان العربي،

الرباط كانون الثاني «يناير» ١٩٧٢، ج ١، ص ٣١٥ - ٣٢٥

في مجلة اللسان العربي مقالاً بعنوان نسبة الحجبة إلى ابن خالويه لا تصح<sup>(١)</sup> ، بناء على نقد أدلة التوثيق ، ثم قال بعد ذلك : « والذي يجعلنا نميل إلى نفي هذه النسبة هو أن جميع المصادر التي ترجمت ابن خالويه لم تذكر في قائمة كتبه تأليفه الحجبة ، ولم يعرج أصحاب المعاجم والفهارس وطبقات القراء عليه ... » .

وقد ظل د. عبد العالم سالم مقيماً على يقينه ، ورد على ناقدته بمقال شرح فيه أدلته الثمانية التي نجمها فيما يلي معتمدين مقالها الآخر<sup>(٢)</sup> الذي يعبر عن يقينه الثابت بصحة نسبة كتاب « الحجبة » إلى « أبي عبد الله الحسين بن أحمد ابن خالويه » :

١ - تلمذ ابن خالويه لابن مجاهد فرضت عليه أن يجيأ في الدراسات القرآنية وقد ألف الحجبة في القراءات السبع ، لينافس به كتاب الحجبة لأبي علي الفارسي ، وإن عدم ذكر الحجبة لابن خالويه في كتب الطبقات يرجع إلى أن الكتاب في ( القراءات ) فاستغنوا بذكرها عن كلمة الحجبة . ومن الجلي أن أصحاب كتب الطبقات وابن خالويه نفسه أشاروا إلى أن له كتاباً في ( القراءات ) فأين ذهب هذا الكتاب ؟

لا يمكن أن يكون كتاب القراءات المصور بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية « رقم ٥٢ قراءات » ؛ لأن منهج ابن خالويه فيه يقوم على الاستطراد ، والإطناب ، إذ يتحدث عن تفسير الآيات ، وأسباب نزولها ، ويحشد قصصاً عديدة في مناسبات مختلفة ، وليست القراءات فيه والاحتجاج لها إلا جزءاً يسيراً من هذا المنهج ، فكتابه في الحقيقة كتاب تفسير لا قراءات ..... إن الذي يطمئن إليه القلب ، ويرتضيه العقل أن كتاب القراءات المنسوب إلى ابن خالويه في كتب الطبقات هو كتاب الحجبة نفسه ..... وأكبر

(١) الرباط ، كانون الثاني «يناير» ١٩٧١ ، ج ١ ، ص ٥٢١ - ٥٢٣

(٢) المرجع الأسبق .

الظن أن الكتاب كان عنوانه **الحججة في القراءات السبع** <sup>(١)</sup> فعند النسخ سقطت كلمة ( الحججة ) ، وهو أمر يحدث كثيراً على يد النساخ ، أو اختصر عنوانه فأصبح « **القراءات** » .

٢ - - كتب الطبقات ليست حجة قاطعة نرجع إليها في نفي نسبة الكتاب إلى « ابن خالويه » ، حيث لم تشر إليه ، لأن هذه الكتب نفسها أغفلت ذكر كتب لابن خالويه منها كتاب **أسماء الله الحسنى** الذي أشار إليه ابن خالويه نفسه في كتابه : **إعراب ثلاثين سورة** ... إن ابن خالويه قد أشار [ إلى الحججة <sup>(٢)</sup> ] في كتابه : **إعراب ثلاثين سورة** عند تعرضه للقراءات في قوله تعالى : « **أنعمت عليهم** » قال : « **وأجمع القراء على كسر الهاء في التثنية إذا قلت عليها** ، قال الله عز وجل : « **بخافون أنعم الله عليها** » إلا يعقوب الحضرمي فإنه ضم الهاء في التثنية كما ضمها في الجمع ، وقد ذكرت علة ذلك في **كتاب القراءات** <sup>(٣)</sup> » وهذا التحليل تجده في **كتاب الحججة** .

٣ - « إن التسمية بالحججة قد تكون من عمل المتأخرين ... على أن الغالب في مؤلفات القدامى أنهم يذكرون موضوعات كتبهم في مقدماتهم ، ولا يشيرون إلى أسمائها ... فعل ذلك ابن خالويه حينما ذكر في مقدمته ما نصه : « وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم [ أي القراء السبعة ] ... فكلمة ( احتج ) تجدها في مقدمة ابن خالويه على حين تفتقدها في مقدمة الفارسي ... »

٤ - إن من الأدلة على أن **الحججة** لابن خالويه دليل التنافس العلمي في هذا العصر ، ان أهم ما كان يشغل ذهن ابن خالويه هو العلوم القرآنية ، وإذا نأفست فإنه ينافس في مجالها .

(١) اختار د. عبد العال هذا العنوان لمطبوع كتاب الحججة الذي حققه .

(٢) ما بين الحاصرتين من تصرفي بدلالة السياق ، ونهاية الفقرة .

(٣) إعراب ثلاثين سورة دار الكتب ، ١٩٤١ ، ص ٣٢

٥ - إن<sup>(١)</sup> من أوضح أدلة التوثيق لهذا الكتاب ، ونسبته إلى ابن خالويه تشابه أسلوبه ومنهجه مع مؤلفات ابن خالويه الأخرى ، وهذا التشابه محصور فيما يلي :

١ - الإيجاز والاختصار .

ب - من الظواهر إذا تحدث عن مسألة وحرر القول فيها ، ثم عرضت مسألة تشبهها لا يعيد القول فيها وإنما يحيل إليه ، وهذه الظاهرة واضحة في الحجفة ، وفي كتابه القراءات . وفي إعراب ثلاثين سورة .

ج - الإكثار في هذه الكتب من النقل عن ابن مجاهد ، وابن الأنباري وغيرهما من الأعلام الذين سبقوه<sup>(٢)</sup> .

٦ - الأعلام الذين سجلهم ابن خالويه في كتابه كانوا أسبق منه زمناً .

٧ - تقارب بعض النصوص في مؤلفات « ابن خالويه » مع بعض نصوص الحجفة .

٨ - تاريخ نسخ الحجفة قديم لأنه نسخ سنة ٤٩٦ هـ ، وهو تاريخ قريب من عصر المؤلف بمائة وستة وعشرين عاماً على حين نجد كتاب القراءات المصور بمعهد المخطوطات نسخ سنة ٦٠٠ هـ .

انتهى هنا مختصر أدلة د . عبد العال سالم التي ساقها في مقدمة تحقيق الحجفة ، وفي مقاله الذي رده على الأستاذ محمد العابد الفاسي ، غير أنه من حقه على كاتب

(١) انظر هذا الدليل كاملاً في مجلة مجمع اللغة العربية - دمشق ، نيسان « أبريل » ١٩٧٠ ص ٣٥٠ ، ومجلة اللسان العربي ، الرباط ، كانون الثاني « يناير » ١٩٧١ ج ١ ، ص ٥١٢ ، ٥١٣ ، ومقدمة كتاب الحجفة ، بيروت ١٩٧١ ص ٢٠ ، ٢١ .

(٢) لم يصرح د . عبد العال سالم بهذه الفقرة في رده على الاستاذ محمد العابد الفاسي ، ولعله تبين أنها - على قوتها - حجة نفي لا إثبات فواضع ذكر ابن مجاهد وابن الأنباري في كتاب ، الحجفة في القراءات السبع لا تتجاوز مقدمة المحقق نفسه حسبما جاء في فرس الأعلام الملحق بالكتاب ، ولقد عثرت على اسم ابن مجاهد في الصفحة ٣٤٦ ، والفقرة التي تضمنته موضوع نقاش في الصفحات التالية .

هذه السطور أن يضيف إلى ما سبق دليلاً<sup>(١)</sup> يراه د. عبد العال سالم حاسماً :

٩ - إن السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي صاحب تاج العروس من جواهر القاموس اعتمد الحججة مصدرأ من مصادر معجمه الكبير ونص على ذلك في مقدمته : « والحجة في قراءات الأئمة السبعة لابن خالويه<sup>(٢)</sup> » .

وبعد ؛ فإن كاتب هذه السطور يعتقد أن هنا متسعاً للقول في رفض نسبة كتاب الحججة إلى الحسين بن أحمد بن خالويه ، وهذا القول يقوم على مادة كتاب الحججة نفسه وكتب ابن خالويه وأخص منها كتابه : إعراب القراءات السبع وعلمها المشهور بـ كتاب القراءات<sup>(٣)</sup> .

### أولاً - ما اسم مؤلف كتاب الحججة في قراءات الأئمة ؟

يوجد في صدر مخطوطة كتاب الحججة ماييلي : « كتاب الحججة في قراءات الأئمة السبعة ... للعلامة ... أبي عبد الله الحسين بن خالد بن خالويه ... »<sup>(٤)</sup> ، فمؤلف الكتاب هو الحسين بن خالد ، وليس الحسين بن أحمد ، وإذا كان هناك من أبدل الحسن<sup>(٥)</sup> من الحسين أو محمد<sup>(٦)</sup> من أحمد فإن مصادر القدماء جميعاً قد حلت من ذكر « خالد » عند تسمية الإمام اللغوي « ابن خالويه » . وباليات الذين نسبوا كتاب الحججة إلى « ابن خالويه » عُنوا بتحقيق اسم مؤلفه .

(١) هذا الدليل مسجل في رسالة خاصة بعث بها إلي الصديق د. عبد العال سالم في

أغسطس ١٩٧٢

(٢) الكويت ١٩٦٥ ، الجزء الاول - تحقيق عبد الستار فراج ص ٧

(٣) القراءات. استانبول ، مراد ملا ٨٥ ( نسخة مصورة مكبرة خاصة صورت بواسطة معهد المخطوطات العربية عن مصورته رقم ٥٢ قراءات ) وهذا الكتاب تحقيقه جزء من رسالتي لدرجة الدكتوراه المسجلة بجامعة منسستر كانون الثاني ١٩٧٣

(٤) الحججة في القراءات السبع ص ٣٣ ، بيروت ١٩٧١

(٥) الثعالبي ، يتيمة الدهر - بتحقيق محمد محيي الدين ، ١٩٥٦ ، ج ١ ص ١٣٢

(٦) أبو الحسن القفطي ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، بتحقيق محمد أبو الفضل

إبراهيم ، دار الكتب ، ١٩٥٠ ج ١ ص ٣٢٤

نياً - مقدمة صاحب كتاب الحججة .

يقول الحسين بن خالد في مقدمته : « ... وبعد ، فإني تدبرت قراءات الأئمة السبعة ... فرأيت كلاً منهم قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه مذهباً من مذاهب العربية لا يدفع ... وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم ... معتمد فيه على ذكر القراءة المشهورة ومنكّب عن الروايات الشاذة المنكورة ، وقاصد قصد الإبانة في اقتصاد من غير إطالة ولا إكثار ، محتذياً لمن تقدم في مقالهم ، مترجماً عن ألفاظهم واعتلالهم ، جامعاً ذلك بلفظ بينٍ جزلٍ ومقال واضح سهل ، ليقرب على مريده ، وليسهل على مستفيدة ، والله الموفق للسداد (١) ... »

فصاحب الحججة يصرح بأنه احتذى المتقدمين فأخذ عنهم اللفظ والعلة معاً ، وليس له شيء في كتابه غير الجمع بلفظ بين ومقال سهل .

أما الحسين بن أحمد بن خالويه فيقول في صدر القراءات : « هذا كتاب شرحت فيه إعراب قراءات أهل الأمصار ... ولم أعد ذلك إلى ما يتصل بالإعراب من مشكل أو تفسير وغريب والحروف الشاذة ، إذ كنت قد أفردت لذلك كتاباً جامعاً ، وإلما اختصرته جهدي ليستعجل الانتفاع به المتعلم ويكون تذكرة للعالم ... (٢) » وستان ما بين قول ابن خالويه وقول ابن خالد صاحب الحججة ، فإن خالد يقصر همه على ذكر ما احتج به أهل صناعة النحو للقراء السبعة ، ويترجم عن ألفاظ القدماء وعللهم ، أما ابن خالويه فيقول : « شرحت » ببناء المتكلم ، ليكون شرحه تذكرة للعالم . وهو في خلال شرحه يجهد أستاذه ابن مجاهد خصومة انتصاراً للقراء (٣) ولعل ابن خالويه كان في غنى عن تأليف

(١) الحججة في القراءات السبع ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٣٨

(٢) القراءات مراد ملا ٨٥ ، ص ١ وأيضاً بطاقة معهد المخطوطات العربية في صدر مصورته رقم ٥٢ قراءات .

(٣) انظر الصفحات التالية .

كتاب لا يملك فيه لفظه ولا فكرة ؛ وكيف نصدق ذلك وهو صاحب إعراب القرآن ، وإعراب ثلاثين سورة ، وإعراب القراءات السبع وعللها ، والبديع بجواشيه ، وشرح الفصيح ، وشرح مقصورة ابن دريد ، وليس في خمسة مجلدات ضخمت ، وغير ذلك كثير ؟ ! .

وصاحب الحجة لا يعرف قدر القراءات الشاذة فيصفها بالنكارة ، أما ابن خالويه تلميذ ابن مجاهد مسبع السبعة فلا يزيد على التسمية « والحروف الشاذة » لأنه على يقين أن صفة الشذوذ التي لحقت تلك القراءات إنما هي مضافة إلى اختيار ابن مجاهد ، وكيف يصف القراءات الشاذة بالنكارة وقد أملى كتابه البديع في قراءات القراء السبعة وإضافة يعقوب بن إسحاق الخضرمي إليهم<sup>(١)</sup> ثم جعل في حواشي البديع « الحروف الشاذة مخرجة باسم واحد فواحد<sup>(٢)</sup> » ؟ أم كيف يصف ابن خالويه بالنكارة قراءات تشمل ما قرأ به أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، وشيبة بن نصاح ، والأعمش ، وابن أبي ليلى ، وحران بن أعين ، والمغيرة بن أبي شهاب الخزومي وهو الذي يعلم علم اليقين أنهم شيوخ الأئمة السبعة المشهورين ، ويقرر ذلك بنفسه في كتابه المشهور بـ القراءات ؟ .

« وقرأ نافع على سبعين من التابعين منهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، وشيبة ابن نصاح<sup>(٣)</sup> . . . » .

« وحدثني ابن مجاهد قال : قرأ حمزة على ثلاثة : الأعمش ، وابن أبي ليلى ، وحران بن أعين . وما كان من قراءة الأعمش فعن عبدالله [ يعني ابن مسعود ] ، وما كان من قراءة ابن أبي ليلى فعن علي - رضي الله عنه - ، وما كان من قراءة حران فعن أبي الأسود الدؤلي ؛ وأما ابن عامر فإنه أخذ قراءته عن المغيرة

(١) البديع ، شستريتي ، دبلن ٣٠٥١ ، ورقة ٢/ب مصورة مكبرة خاصة تدرس ضمن رسالتي الجامعية المسجلة في جامعة نيشستر - بريطانيا .

(٢) المرجع السابق .

(٣) مخطوطة القراءات ، استانبول مراد ملا ٨٥ ، ص ١٠ .



ابن أبي شهاب الخزمي ، وأخذها المغيرة عن عثمان (١) .  
 إن ابن خالويه بريء من تهمة وصف قراءات هؤلاء الأئمة بالنكارة لأنه  
 يعرف قدرهم ويعرف الناس به ، بل إن المؤلف الذي يصف قراءات هؤلاء  
 الأئمة بأنها منكورة هو غريب عن علوم القرآن ، لم يقرأ ما كتبه علماء القرنين  
 الرابع والخامس فضلاً عن أن يكون واحداً منهم . يقول مكّي بن أبي طالب :  
 « وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة  
 وأجل قدراً من هؤلاء السبعة . على أنه قد ترك جماعة من العلماء في كتبهم في  
 القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة واطّرحهم : قد ترك أبو حاتم وغيره ذكر  
 حمزة والكسائي وابن عامر ، وزاد نحو عشرين رجلاً من الأئمة ممن هو فوق  
 هؤلاء السبعة . وكذلك زاد الطبري في كتاب القراءات له على هؤلاء السبعة  
 نحو خمسة عشر رجلاً ، وكذلك فعل أبو عبيد وإسماعيل القاضي (٢) . »

أما أبو الفتح عثمان بن جني معاصر ابن خالويه فيقول في صدر كتابه المحتسب :  
 « . . . فأتى ذلك على طهارة جميعه وغازاة ينبوعه - ضربين : ضرباً اجتمع  
 عليه أكثر قراء الأمصار ، وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد  
 كتابه الموسوم بقراءات السبعة ، وهو بشهرته غانٍ عن تحديده ؛ وضرباً تعدى  
 ذلك فسماه أهل زماننا شاذاً ، أي خارجاً عن قراءة القراء السبعة المقدم  
 ذكرها إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه ، محفوف بالروايات  
 من إمامه وورائه . . . . ولسنا نقول ذلك فسحاً بخلاف القراء المجتمع في أهل  
 الأمصار على قراءاتهم . . . . لكن غرضنا منه أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن  
 شاذاً وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه ، أخذ من سميت العربية مهلة ميدانه لثلا  
 يرى مرئى أن العدول عنه إنما هو غرض منه أو تهمة له . ومعاذ الله وكيف يكون

(١) المرجع السابق ، ص ١٠

(٢) مكّي بن أبي طالب حمود القيسي ٣٣٥-٤٣٧ هـ ، الإبانة عن معاني القراءات

تحقيق د. عبد الفتاح شلبي ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٧٢٦

هذا والرواية تنميه إلى رسول الله - ﷺ - ، والله - تعالى - يقول : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، ؟ . . . » (١) ثم يضي ابن جني في كتابه محتجاً لما شذ عن قراءات السبعة وغمض عن ظاهر الصنعة ، وقد أكد بهذا الصنيع ثقة أهل القرن الرابع بالقراءات التي اصطلاح على وصفها بـ « الشواذ » .

وابن خالويه نفسه يحتج لشواذ القراءات في أحيان كثيرة ، ويرويه بأساندها إلى أمثها ، وينتصر لهم :

١ - « ومن نَوَّنَ نوناً ثم رداها هنا وفي سائر القرآن ، وهو الأعمش ، جعله امم رجل رئيس الحمي ، أو اسم الحمي ، وقرأ ابن الزبير : « التي لم يخلق » بفتح الياء « مثلها » بنصب اللام أي لم يخلق الله مثلها (٢) .

ب - « وحدثنا أحمد عن علي عن أبي عبيد عن إسماعيل أن أبا جعفر قرأ « مَالاً لُبَيْدًا » جمع لا بد مثل راعع وركع « وفاعل يجمع على خمسة وثلاثين وجهاً (٣) » .

ج - « وحدثني أحمد عن علي عن أبي عبيد أن أبا جعفر يزيد بن القعقاع قرأ : « إن إلينا إيتابهم » بتشديد الياء ، فقال أبو عبيدة : لا وجه له . قلت : أما فلا ، وجه أن تجعله مصدر آيَّبَ إيتاباً مثل كذَّبَ كذِّباً قال الله عز وجل : « فكذبوا بآياتنا كذاباً » ، وقال تأبط شراً :

ياعيد مالك من شوق وإرراقٍ ومَرَّ طيف على الأهوال طراقٍ (٤)

إن النصوص وحدها تبريء ابن خالويه من تهمة وصف الشواذ بالنيكاراة ، ولاتدع مزيداً لقائل . وقبل أن نغادر هذه الفقرة أرجو القارئ أن يعيد النظر

(١) أبو الفتح عثمان بن جني ، المحتسب ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ ، ج ١ ص ٣٢ ، ٣٣

(٢) إعراب ثلاثين سورة ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٤١ ، ص ٧٧

(٣) المرجع السابق ص ٨٩

(٤) المرجع السابق ص ٧٣

إلى قول ابن خالويه عن كتابه المشهور بـ **القراءات** : « هذا كتاب شرحت فيه إعراب قراءات أهل الأمصار ... ولم أعد ذلك إلى ما يتصل بالإعراب من مشكل أو تفسير وغريب ... »<sup>(١)</sup> ، وإلى قول د . عبد العال سالم في الفقرة الأولى من أدلته لتوثيق كتاب **الحجة** : « فكتابه [ يعني كتاب ابن خالويه **القراءات** ] في حقيقة أمره كتاب تفسير لـ **قراءات** ، ولعل القارئ الكريم ينتهي إلى ما انتهيت إليه من الشك في أن د . عبد العال سالم أمعن في قراءة الصفحة الأولى من مخطوطة كتاب **القراءات** أو البطاقة التي صُدّرت بها المخطوطة ، وأنا على يقين أنه لو فعل لوفر على نفسه جهد توثيق نسبة الحجة إلى الحسين بن أحمد بن خالويه .

ثالثاً - عناية ابن خالويه بتوثيق كتبه :

يحرص ابن خالويه على أن يذكر اسمه في كتبه بدءاً أو نهاية ، وفي خلال الأبواب والمسائل ، والقارئ في كتبه يسير في درب نير ، ويعلم يقيناً ما هو لابن خالويه وما هو لغيره ، ولا يحتاج من يدرس كتبه إلى جهد كبير ليوثق نسبة كتاب إليه ، أو ينفى عنه ، وها هي النصوص تنطق صراحة بتوثيق كتب ابن خالويه :

١ - جاء في الصفحة الأولى من كتاب **مختصر في شواذ القرآن** :

« ذكر الخليل بن أحمد في العين أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كان يقرأ « إياك نعبد ، وإياك نستعين » ، يُشبع الضمة في النون ، وكان عربياً قلباً أي محضاً . قال ابن خالويه : وقد روي عن ورش أنه كان يقرأها كذلك<sup>(٢)</sup> . »

(١) انظر ماسبق .

(٢) الحسين بن أحمد بن خالويه ، **مختصر في شواذ القرآن** من كتاب البديع ،

تحقيق برجستراسر ، القاهرة ، ١٩٣٤ ، ص ١

ب - وجاء في آخر كتاب البديع :

« قال ابن خالويه : هذه أبواب كتبناها في آخر البديع من أصول قراءة القراء ليقرب متناولها ، ويسهل على من أراد حفظها<sup>(١)</sup> » .

ج - وجاء في أول إعراب أم القرآن من كتاب إعراب ثلاثين سورة :  
« قال أبو عبد الله : وسميت أم القرآن لأنها أول كل ختمة ومبتدؤها ، ويسمى أصل الشيء أمماً ، قال الله عز وجل : « وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم » ، أي في أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ<sup>(٢)</sup> » .

د - وفي الورقة الأولى من كتابه المشهور بالقراءات :

« قال أبو عبد الله - رحمه الله - وحدثني أبو بكر بن مجاهد قال حدثنا ابن شاكر قال حدثني يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم أنه كان يقرأ بالهمز والمد والقراءة الشديدة ، وكان لا يرى الإمالة والإدغام<sup>(٣)</sup> » .

هـ - وجاء في صدر الجزء الخامس من كتاب « ليس » :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه ثقني . باب قال : ابن خالويه : ليس أحد فرق بين قولك جاء الرجل يتقطط وبين جاء يتبرس إلا العامري فإنه قال : جاء فلان يتبرس إذا جاء فارغاً...<sup>(٤)</sup> » .

هذا ، وعلى الرغم من شمول هذه الظاهرة جميع ما وقفت عليه من كتب ابن خالويه فقد خلا كتاب الحججة في قراءات الأئمة السبعة . . . من ذكر اسم ابن خالويه ، سواء في ذلك صدره ، وخاتمته ، وما بينها .

(١) البديع ، ٥١٥ ، شستريبي ٣٠٥١ ، ورقة ١٠٦

(٢) القاهرة ، ١٩٤١ ، ص ١٦

(٣) القراءات ، استانبول ، مراد ملا ٨٥ ، ص ٢

(٤) مخطوطة الجزء الخامس من كتاب ليس ، استانبول ، شهيد علي رقم ٢١٤٣

ورقة ١ (مصورة مصغرة خاصة عن مصورة معهد المخطوطات) تدرس ضمن رسالتي الجامعية .

رابعاً - حرص ابن خالويه على صحة أساتذته خلال كتبه :  
 تلمذ الحسين بن أحمد بن خالويه لأبي بكر بن مجاهد في القراءات ، كما  
 تلمذ في اللغة والنحو لابن دريد ومجد بن القاسم الأنباري ، وأبي عمر الزاهد  
 الملقب غلام ثعلب ، وأبي عبد الله إبراهيم بن عرفة الملقب نبطويه ، وغيرهم من  
 أعيان القرن الرابع ، وهو حريص أن يظل في صحبة هؤلاء الأعيان خلال  
 فصول كتبه يروي عنهم بأساندهم إلى أئمة سبقهم ، ويحكي عنهم ما قالوه في  
 مجالسهم ، وما حدثوه هو به :

١ - يحكي ما سمعه من ابن مجاهد في قصر القراءة على المشهور ، فيقول :  
 « ... وهذه الوجوه الأربعة في « الحمد » وإن كانت سائغة في العربية  
 فإني سمعت ابن مجاهد يقول : « لا يقرأ بشيء من ذلك إلا بما عليه الناس في كل  
 مضرٍ » الحمد لله ، بضم الدال وكسر اللام<sup>(١)</sup> .

ب - وينقل إلينا ما أخبره به ابن دريد في قلب الصاد زايًا .  
 « أخبرني ابن دريد عن أبي حاتم قال : اختلف اثنان في السقر والصقر ،  
 فقال أحدهما بالسين ، وقال الآخر بالصاد ، فسألت أعرابياً : كيف تقول  
 أبالصاد أم بالسين ؟ فقال أما أنا فأقول بالزاي . وأنشد ابن دريد في مثله :  
 ولا تهيبني المومة أركبها إذا تجاوبت الأزداء بالسحر  
 أراد الأصداء<sup>(٢)</sup> .

ج - ويروي عن أبي عبد الله النحوي ، وهو إبراهيم بن عرفة نبطويه - شاهداً  
 على أن من معاني البت الطيلسان :  
 « ... وأما البت فالفرد ، حج فلان حجاً بتاً أي فرداً ، والبت : القطع ،

(١) إعراب ثلاثين سورة ، ص ١٩

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩

## نسبة الحججة إلى ابن خالويه

بت يبتة بتا الحبل والغضا ، والبت : الكساء ؛ والبت : الثوب الواحد، وأنشد:

يا رب بيضاء عليها بت

والبت : الفرد من كل شيء ، والبت : الطيلسان الأخضر ، ويسمى الساج  
والسُدوس ، ثلاثة أسماء ، وأنشدنا أبو عبد الله النحوي :

يطول اليوم إن شطت نواها	وحول <sup>١</sup> نلتقي فيه قصير
إذا اعتل الصحيح وقلت كادت	هوادي النجم تخفق أو تغور
كان المسك والكافور صرفا	على أنيابها أرج يفور
كان سحابة غراء لاحت	لنا في البت <sup>٢</sup> إذ هتكت الستور <sup>(١)</sup>

د - ويخبر بما سمعه من كل من ابن مجاهد ، وابن الأنباري حول إحدى

القراءات :

« (فأن له نار جهنم) ، بالفتح طلحة ، وسمعت ابن مجاهد يقول ما قرأ بهذا  
أحد وهو الحن ، لأنه بعدفاء الشرط ، وسمعت ابن الأنباري يقول : هو صواب ،  
ومعناه : ومن يعص الله ورسوله فجزاؤه أن له نار جهنم<sup>(٢)</sup> . »

هذا هو الحسين بن أحمد بن خالويه الذي أخذ العلم من أفواه أشيائه في  
مجالسهم فحكى عنهم ، وروى ما قالوه ، أما الحسين بن خالد صاحب كتاب  
الحججة ، فلم يقل لنا إنه سمع من شيخ ، ولم يرو لنا خبراً عن عالم ، ولم يحدثه  
واحد من أعلام القرن الرابع بحديث ، فإن قال قائل إن صاحب الحججة صرح  
بأنه قصد الإبانة في اقتصار من غير إطالة ولا إكثار ، فلا عليه إن حذف  
الأسناد والأخبار - قلنا إن ابن خالويه قال في كتابه القراءات : وإنما اختصرته

(١) كتاب ليس الجزء الخامس ، إستانبول ، شهيد علي ، رقم ٢١٤٣ (مصورة

خاصة) ورقة ١١ ، ١٢

(٢) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، القاهرة ، ١٩٣٤ م ، ص ١٦٣ ،

سورة الجن آية ٢٣ ، وأيضاً حواشي البديع دبلن ، شستريتي ، رقم ٣٠٥١ ورقة ٩٤

(٣) الحججة في القراءات السبع ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٣٨

جهدي ليستعجل الانتفاع به المتعلم ، ويكون تذكرة للعالم<sup>(١)</sup> « وهو في هذا الكتاب لم يهمل سناً ، ولم يرو قراءة غير موصولة بإمامها ، وأيضاً فقد أملى ابن خالويه إعراب القرآن ثم أملى إعراب ثلاثين سورة ، وأخبار شيوخه في الكتاب الثاني فاشية كثيرة . فكيف نتصور أن ابن خالويه يسكت عن ذكر شيوخه ، ويهمل إسناد رواياته في كتاب كامل ؟

خامساً - الاختلاف في المصطلح والتعبير :

يقول د . عبد العال سالم : « . . . ولعله من الجائز أن كتاب القراءات أسبق في التأليف من كتاب الحجة ثم لخص هذا الكتاب ، وهذبه ، وجعله مقصوراً على القراءات وحدها . . . »<sup>(٢)</sup> .

غير أن الناظر في الكتابين يجد بينهما اختلافاً بيناً في المصطلح ، وفي التعبير سبكاً وإحكاماً ، وفي أدب التناول لقراءات الأئمة :

يقول الحسين بن أحمد بن خالويه :

« .. وقوله - تعالى - «بالغداة والعشي»<sup>(٣)</sup> قرأ ابن عامر وحده «بالغدوة والعشي» وإنما حمه على ذلك لأنه وجده بالمصحف بالواو<sup>(٤)</sup> ، وإنما كتبت بالواو كما كتبت الصلوة بالواو ، وإنما لم يكن ذلك الوجه لأن غداة نكرة ، وغدوة معرفة ، ولا يستعمل بالألف واللام ، ومراد الله تعالى - والله أعلم - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي أي غداة كل يوم . نزل ذلك في فقراء أصحاب رسول الله ﷺ . »<sup>(٥)</sup> .

(١) القراءات ، استانبول ، مراد ملا ٨٥ ( نسخة خاصة ) ص ١ ، ٢

(٢) الحجة في القراءات السبع ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٢٣

(٣) سورة الأنعام آية ٥٢

(٤) هذا التعليل منقود ، أنظر البحر المحيط ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٩ هـ

ج ٤ ، ص ١٣٦

(٥) القراءات ، استانبول ، مراد ملا ٨٥ ، ص ١١٠

أما ابن خالد صاحب الحجة فيقول :

« قوله - تعالى - « بالغداة والعشي » يقرأ بالألف ، وبالواو في موضع الألف مع إسكان الدال هاهنا وفي الكهف ، فالحجة لمن قرأه بالألف أنه هذا ألفاظ العرب وما تستعمله في خطابها إذا قالوا : جئتك بالغداة والعشي ، وإنما كان ذلك الاختيار لأن قولهم : ( غداة ) نكرة ، فإذا عرفت بالألف واللام جاءت مطابقة للعشي ، فاتفقا بالتعريف بالألف واللام ؛ والحجة لمن قرأه بالواو أنه اتبع الخط لأنها في السواد بالواو ، وليس هذا بحجة قاطعة ، لأنها إنما كتبت بالواو كما كتبت ( الصلاة ) و ( الزكاة ) و ( الحياة ) . ودل على ضعف هذه القراءة أن غدوة إذا أردت بها غدوة يومك فلا تستعمل إلا معرفة بغير ألف ولام كما استعملوا ذلك في ( سحر ) ، وما كان تعريفه من هذا الوجه فدخل الألف واللام عليه محال ، لأنه لا يعرف الاسم من وجهين وإنما جاز في الغداة لأنه لم يقصده بقصد غداة بعينها فتعرفت بالألف واللام كما تعرف العشي لأنها مجهولان غير مقصود بهما وقت بعينه ؛ والحجة له أنه أراد أن العرب قد تجعلها نكرة في قولهم : ( لدن غدوة ) كما يقولون عشرون درهماً فعرفها على هذا اللفظ بالألف واللام<sup>(١)</sup> . »

فابن خالويه . يقول : « ... لأنه وجده بالمصحف بالواو ... » أما ابن خالد صاحب الحجة فيقول : « ... لأنها في السواد بالواو ... » فمصطلح السواد مراداً به المصحف لم أقع عليه ولو مرة واحدة خلال صفحات كتب ابن خالويه المشهور منها وغير المشهور على الرغم من محاولة نسبة بدع هذا المصطلح إليه<sup>(٢)</sup> . وابن خالويه يعرف قدر ابن عامر ، ويعرف كيف ينتقي كلماته للتعليق على قراءة إمام جليل مثله فيقول : « ... وإنما لم يكن ذلك الوجه ... » أما ابن خالد

(١) الحجة في القراءات السبع ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١١٥

(٢) الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، أبو علي الفارسي .. ، القاهرة ، ١٩٥٦ م

ص ٣١٥ و رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات ، القاهرة ، ١٩٦٠ م ، ص ٦٠



فلا يتحرج أن يقول : « ... ودل على ضعف هذه القراءة ... » . وابن خالويه يكتفي بالإلماح إلى خطأ الاحتجاج لقراءة « الغدوة » ، برسم « الغدوة » في المصحف بالواو ، فيقول : « ... وإنما كتبت بالواو كما كتبت ( الصلوة ) بالواو أما ابن خالد فيشير إلى خطأ المصحف قائلًا : « وليس هذا بحجة قاطعة ... » ، وابن خالويه مقل « مدل » في تمثيله فيكتفي بمثال ( الصلوة ) ، أما ابن خالد فيسرف في التمثيل بـ ( الصلوة ) و ( الزكوة ) و ( الحيوة )<sup>(١)</sup> جميعاً ، وفي الأولى وحدها غنى عن أختها ، وعبارة ابن خالويه مستقيمة النهج خالية من شبهة التناقض ، أما عبارة صاحب الحجة فلم تسلم من آثار هذه الشبهة ، فبعد أن قال : « ... فدخول الألف واللام عليه محال » عاد فقال : « ... والحجة له أن العرب قد تجعلها نكرة في قولهم : ( لدن غدوة ) كما يقولون ( عشرون درهماً ) . ولعل الفرق بين النصين من حيث سبك الأسلوب وقوة إحكامه واضح ظاهر فستان ما بين الأسلوبين وما بين صاحبيها من التباين في القدرة على الإحاطة بالمسائل وإحكام التعبير عنها .

### سادساً - من أين أخذ صاحب الحجة ألفاظه وعلمه ؟

ترجم صاحب الحجة عن ألفاظ القدماء وعلمهم ، ولكنه لم يصرح باسم واحد منهم ، والحق أن من اليسير على من يقارن ما جاء في الحجة بنصوص كتاب ابن خالويه - القراءات - أن يتبين أن معظم ألفاظ كتاب الحجة وعلمه منقول عن هذا الكتاب ، وأظن أن بما يسر لصاحب الحجة الأخذ من كتاب ابن خالويه أنه عرفه بعنوانه كاملاً : كتاب إعراب القراءات السبع وعلمها<sup>(٢)</sup> فسارع إلى الأخذ منه ما وسعه إذ وجده نصاً في الغرض الذي أراد أن يؤلف فيه ،

(١) رسمت هذه الكلمات الثلاث في مطبوع الحجة بالألف .

(٢) القراءات ، مراد ملا ٨٥ ، الجزء الثاني ، ص ٢٩٦ ، ولعل عنوان الأصل

كان إعراب قراءات أهل الأمصار كما جاء في مقدمة المصنف ص ١٩

وهو الاحتجاج للقراء السبعة ، ولعل النصوص التالية تقرب هذه الدعوى من الصدق :

١ - جاء في « القراءات » من سورة العلق :

« وقوله - تعالى - « أن رآه استغنى » فيه أربع قراءات ..... والقراءة الرابعة قراءة ابن كثير في رواية قبل أن رآه على وزن رَعَهُ قال ابن مجاهد هو غلط لأنه حذف لام الفعل التي كانت ألفاً مبدلة من الياء . ويجوز أن الذي سمع ابن كثير يقرأ هذا الحرف لم يضبط عنه ، ولا ترجم عنه باستواء ، وكانت قراءاته أن رآه استغنى بتقديم الألف على الهمزة ، ثم تحذف الهمزة فتحذفها لالتقاء الساكنين ، وهذه لغة مشهورة ، تقول العرب راءني وشاءني ، وأنشد :

[ وكل خليل ] راءني [ فهو قائل ] من اجلك هذا هامة اليوم أو غد<sup>(١)</sup>

وقال آخر :

[ . . . (٢) ] الفؤاد حتى كأني شاربٌ علٌّ من رحيق مدام

أو وليدٌ معلل راء رؤيا فهو يهذي بما يرى في المنام

فهذا أشبه بقراءة الأئمة من أن يُغلط ، لأن القراءة والأئمة يختار لهم أو يحتاج لهم لا عليهم<sup>(٣)</sup> .

وجاء عن القراءة نفسها في كتاب الحجة :

« قوله - تعالى - « أن رآه استغنى » ... وروى قبل هذا الحرف عن

ابن كثير ( راءه ) بفتح الراء والهمزة والقصر على وزن ( رَعَهُ ) . قال ابن

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في الأصل ، وانظر لتام البيت أحد راتب النفاخ ، فهرس شواهد سيبويه ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٨١ ؛ وأبو بشر سيبويه ، الكتاب ، بولاق ، ١٣١٧ ، ج ٢ ، ص ١٣٠ .

(٢) لم أستطع قراءة ما بين الحاصرتين ، ولعل الله ينتدب لمن يسعف بالتام .

(٣) القراءات ، إستانبول ، مراد ملا ٨٥ ، ص ٦٢٢ .

مجاهد لا وجه له ، لأنه حذف لام الفعل التي كانت مبدلة من الياء . وقال بعض أهل النظر أحسن أحوال ابن كثير أن يكون قرأ هذا الحرف بتقديم الألف التي بعد الهمزة ، وتأخير الهمزة إلى موضع الألف ، ثم خفف الهمزة ، وحذف الألف لالتقاء الساكنين ، فبقي « راه » بألف ساكنة غير مهموزة إلا أن الناقل لذلك عنه لم يضبط لفظه به . هذه لغة مشهورة للعرب يقولون في ( رأني ) ( راءني ) وفي ( سأني ) ( ساءني ) . قال شاعر هذه اللغة :

أو وليد مغلل راء رؤيا فهو يهذي بما يرى في المنام<sup>(١)</sup>

ومن اليسير أن نتبين أن صاحب الحجة أخذ تعليل ابن خالويه ، ومعظم ألفاظه ، واكتفى بأن يضيف كل ذلك إلى « بعض أهل النظر » ، ومحال أن ينسب ابن خالويه تعليله هو إلى مجهول . وأيضاً نلاحظ أن ابن خالويه لم يسلم لابن مجاهد تغليله ابن كثير ، وأنه ختم تعليله بعبارة لا تخلو من لوم أستاذه : « ... فهذا أشبه بقراءة الأئمة من أن يُغلط ، لأن القراءة والأئمة يختار لهم ، أو يحتاج لهم لا عليهم » ، وقد صنع كثير من أعيان القرن الرابع وغيرهم مثل الذي صنعه ابن خالويه ، ففاظتوا ابن مجاهد على تغليله الأئمة من القراءة<sup>(٢)</sup> ، أما ابن خالد صاحب الحجة فقد استكثر أن يخوض هذه المحاجة مع ابن مجاهد ، ولو عاصر أهل القرن الرابع لفرى فريهم ، أما نقل ابن خالد عن ابن مجاهد في نصه فهو أشبه بنقل ابن الجزري والدمياطي صاحب إتحاف فضلاء البشر عن ابن مجاهد لا يوحى بأوهى صلة بين الناقل والمنقول عنه .

ب - جاء في القراءات من سورة فاتحة الكتاب .

« وقوله : « أنعمت عليهم » قرأ حمزة وحده ( أنعمت عليهم ) بضم الهاء وجزم الميم ، وكذلك ( إليهم ) و ( لديهم ) وهي لغة رسول الله ﷺ ، وإلها

(١) الحجة في القراءات السبع ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦

(٢) ابن جني ، المحتسب ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ ، ج ١ ص ٦٦ - ٧١

## نسبة الحجة إلى ابن خالويه

ضم ( الهاء ) في أصل الكلمة قبل أن يتصل بها ( على ) كما تقول : ( هم ) ، فلما دخلت ( على ) فقلت ( عليهم ) بقيت على حالها . قال ابن مجاهد : إنما خص حمزة هذه الثلاثة الأحرف بالضم دون غيرهن ، أعني ( عليهم ، ولديهم وإليهم ) ، من بين سائر الحروف لأنهن إذا وليهن ظاهر صارت بإاءتن ألفات ، ولا يجوز كسر الهاء إذا كان قبلها ألف ، فعامل الباء مع المكني معاملة الظاهر ... فإذا صارت ألفا لم يجوز كسر الهاء ... (١) .

وجاء عن القراءة نفسها في كتاب « الحجة » :

« قوله - تعالى - « عليهم » ... والحجة لمن ضم الهاء أنه أتى بها على أصل ما كانت عليه قبل دخول حرف الحذف عليها (٢) » .

لقد أقام د . عبد العال سالم دليلاً ثانياً لتوثيق نسبة كتاب الحجة لابن خالويه على أن ابن خالويه نفسه أشار إلى كتاب الحجة في كتابه إعراب ثلاثين سورة حيث قال : « أجمع القراءة على كسر الهاء في التثنية ، إذا قلت ( عليها ) قال الله - عز وجل - « يخافون أنعم الله عليها » إلا يعقوب الحضرمي فإنه ضم الهاء في التثنية كما ضمها في الجمع . وقد ذكرت علة ذلك في كتاب القراءات ، ثم أردف د : عبد العال قائلاً : وفي كتابه الحجة نجد هذا التعليل الذي أشار إليه ، ثم أرسد القارئ إلى مكان سورة فاتحة الكتاب (٣) . ولـكـنـنا نلاحظ في النصين السابقين أن كتاب القراءات لابن خالويه تضمن أصل هذه العلة في صيغتين : الأولى موجزة ، والثانية مفصلة منسوبة لابن مجاهد بما يؤكد أن كتاب القراءات هو الذي عناه ابن خالويه حيث أحال إليه في كتابه إعراب

(١) القراءات ، إستانبول ، مراد ملا ٨٥ « نسخة خاصة » ص ٣٥

(٢) الحجة في القراءات السبع ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣٩

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨ ، وأيضاً إعراب ثلاثين سورة ، دار الكتب :

ثلاثين سورة . أما ابن خالد صاحب الحجة فقد عمد إلى صيغة العلة الموجزة فزادها إيجازاً ثم طبعها بأسلوبه الذي لا ينم عن ثقافة لغوية ذات أصل ثابت .

### سابعاً - من أي نسخ القراءات أخذ صاحب الحجة ؟

جاء في مقدمة د . عبد العال سالم لكتاب « الحجة » الفقرة التالية ذات العنوان العجيب :

« قراءات لم ترد إلا عن طريقه :

وذلك في « قوله - تعالى - : « فله عشر أمثاله » يقرأ بالتنوين ونصب الأمثال وبطرحة والحفض ، فالحجة لمن نصب أن التنوين يمنع من الإضافة ، فنصب على خلاف المضاف ... (١) » ويعاقق د . عبد العال قائلاً : « وليس في كتب القراءات التي بين أيدينا إلا حذف التنوين وجر اللام بالإضافة ، وهي قراءة جميع القراء في الأمصار ما عدا « الحسن البصري » فإنه كان يقرأ (عشر) بالتنوين ، وأمثالها بالرفع ، وذلك وجه صحيح في العربية غير أن إجماع قراء الأمصار على خلافها . أما دواية التنوين والنصب فلم أجدها إلا عند ابن خالويه (٢) » .

ولكننا نقول إن إجماع الأمة منمقد على أن القراءة سنةٓ يأخذها آخر عن أول ، وليس لابن خالويه أن يأتي بشيء من القراءات لم يأت به غيره . ولقد ذكر أسانيد القراءات السبعة في صدر كتابه القراءات (٣) ، ومن اليقين أن كثيرين غيره قد أخذوا عن شيوخه ، فكيف نصدق أنه ينفرد بقراءة « عشر أمثالها » بالتنوين ونصب الأمثال ؟ الله يعلم أن ابن خالويه برىء مما نسب إليه ،

(١) الحجة في القراءات السبع ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣١ ، ١٢٨

(٢) المرجع السابق .

(٣) القراءات ، مراد ملا ، ص ٨٥ ، وما بعدها .

فكتابه القراءات لم يتضمن ما قيل إنه قراءة (التنوين ونصب الأمثال) بين قراءات سورة الأنعام<sup>(١)</sup> وكتابه البديع وهو في قراءات الثمانية خال من ذكر ذلك<sup>(٢)</sup> أما حواشي البديع ففيها قراءة (التنوين والرفع) «عشر أمثالها» مسندة إلى الحسن<sup>(٣)</sup> فمن أين جاء ما زعم أنه قراءة «عشر أمثالها» (بالتنوين ونصب الأمثال) ؟

وحيث إنني على يقين أن كتاب ابن خالويه للقراءات هو المصدر الأول لصاحب الحجفة - أخذت ألقب صفحات هذا السفر الكبير فوجدت في سورة براءة ما يلي : «... قال أبو عبد الله : وقد تأملت كتاب الله فوجدت فيه مائة وخمسين حرفاً مما ينون ولا ينون وسأذكرها جملة... فأول ذلك في سورة البقرة : قرأ زهير الفرقي : « لا ريب فيه... وفي الأنعام أيضاً قرأ الحسن : « فله عشر أمثالها... »<sup>(٤)</sup> ، هكذا جاءت لفظة ( أمثالها ) مضبوطة بفتح اللام غير منصوص على الضبط بالعبارة . ولكن ابن خالويه نسب القراءة للحسن ، ونصوص ابن خالويه يصوب بعضها بعضاً ، فلام ( أمثالها ) مضبوط بالضم في كتاب مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، وهو كذلك في حواشي مخطوطة البديع . أما أبو البقاء العكبري في كتابه إعراب القراءات الشواذ فيقول : «عشر أمثالها» بالإضافة وهو المشهور، ويقرأ «عشر بالتنوين أمثالها بالرفع على أنه بدل من عشر<sup>(٥)</sup>» ، وكذلك عامة مصادر القراءات :

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٢

(٢) شستريتي ، ٣٠٥١ ، دبلن ، ورقة ٢٨

(٣) المرجع السابق ، ورقة ١/٢٩ ، وانظر أيضاً مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، القاهرة ، ١٩٣٤ ، ص ٤١ ، وأيضاً مخطوطة الحميدية رقم ٢٤ «أحد أصلي منشورة برجستراسر» ورقة ١٩/ب «مصورة مصغرة خاصة بوساطة معهد المخطوطات» .

(٤) القراءات ، مراد ملا ٨٥ ، ص ١٦٨-١٧٠

(٥) مخطوطة دار الكتب ، تفسير ١٠٧ ، ورقة ١٩/ب «نسخة مصورة مصغرة

خاصة بوساطة معهد المخطوطات ) .

فأبو جعفر الطبري (٥٣١٠ هـ) يقول : « وقد ذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك « فله عشر » بالتونين ، « أمثالها » بالرفع ...<sup>(١)</sup> » وأبو جعفر النحاس (٥٣٣٨ هـ) يقول : « وقرأ سعيد بن جبير ، والأعمش : « فله عشر أمثالها » وتقديره فله حسنات عشر أمثالها<sup>(٢)</sup> . ومكي بن أبي طالب (٥٤٣٧ هـ) يقول : « ومن نون عشر أ- وهي قراءة الحسن ، وابن جبير ، والأعمش - قدره : فله حسنات عشر أمثالها<sup>(٣)</sup> . . . » وأبو القاسم الزمخشري (٥٥٣٨ هـ) يقول : « وقرئ عشر أمثالها برفعها جميعاً على الوصف<sup>(٤)</sup> . » والفضل بن الحسن الطبرسي (٥٥٤٨ هـ) يقول : « قرأ يعقوب « عشر » منون « أمثالها » برفع اللام ، وهي قراءة الحسن ، وسعيد بن جبير ...<sup>(٥)</sup> . وأبو البركات بن الأنباري (٥٥٧٧ هـ) يقول : « ... فمن قرأ بالتونين كان « عشر » مبتدأ و « أمثالها » صفة له ...<sup>(٦)</sup> . » وعبد الرحمن بن الجوزي (٥٥٩٧ هـ) يقول : « ... وقرأ يعقوب والقزاز عن عبد الوارث : « عشر » بالتونين ، « أمثالها » بالرفع<sup>(٧)</sup> » ، وفخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) يقول : « ... ويقوي هذا قراءة من قرأ « عشر أمثالها » بالرفع والتونين<sup>(٨)</sup> . » وأبو عبد الله محمد

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الجزء الثامن ، القاهرة ، ١٩٥٤ م ،

ص ١١٠

(٢) إعراب القرآن ، مخطوطة مكتبة فاتح باستنبول رقم ٨٨ ، ورقة ١/٧٣ (مصورة مصغرة خاصة بوساطة معهد المخطوطات) .

(٣) مشكل إعراب القرآن ، مخطوطة المدينة رقم ١٩٣ ، ورقة ٥٧/ب ، « مصورة مصغرة خاصة بوساطة معهد المخطوطات) .

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل ، ج٢ القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٦٤

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن ، ج٣ ، ١٣٧٩ هـ ، ص ٣٨٩

(٦) البيان في غريب إعراب القرآن ، ج١ ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٣٥٠

(٧) زاد المسير في علم التفسير ، ج٣ ، دمشق ، ١٩٦٥ م ، ص ١٥٩

(٨) مفاتيح الغيب ، القاهرة ، ١٢٧٨ هـ ، ج٣ ، ص ١٨٠

القرطبي ( ٦٧١ هـ ) يقول : « وقرأ الحسن ، وسعيد بن جبير ، والأعمش : « فله عشر أمثالها » والتقدير : فله عشر حسنات أمثالها ... »<sup>(١)</sup> . وأبو حيان الأندلسي ( ٧٥٤ هـ ) يقول : « وقرأ الحسن ، وابن جبير ، وعيسى بن عمر ، والأعمش ، ويعقوب ، والقزاز عن عبد الوارث : « عشر » بالتنوين ، « أمثالها » بالرفع على الصفة لعشر ... »<sup>(٢)</sup> .

وناصر الدين الشيرازي البيضاوي ( ٧٩١ هـ ) يقول : « ... وقرأ يعقوب : « عشر » بالتنوين ، و « أمثالها » بالرفع على الوصف . . . »<sup>(٣)</sup> .

وأبو الخير محمد بن الجزري ( ٨٣٣ هـ ) يقول : « واختلفوا في عشر أمثالها ، فقرأ يعقوب « عشر » بالتنوين و « أمثالها » بالرفع ، وقرأ الباقر بن بغير تنوين وخفض « أمثالها » على الإضافة »<sup>(٤)</sup> .

هكذا أجمع الأئمة السابق ذكرهم ومعهم الحسين بن أحمد بن خالويه ، وأبو البقاء العكبري على تشكيل لام « أمثالها » بالضم في القراءة غير المشهورة ، « عشر » أمثالها ، ولم يذكر واحد منهم ما يسمى بقراءة ( التنوين ونصب الأمثال ) ( « عشر » أمثالها ) . غير أني وجدت محمد بن الحسن الطوسي ( ٤٦٠ هـ ) يذكر ( التنوين ونصب الأمثال ) على أنه مما يجوز في النحو فيقول ، « يجوز في قوله « فله عشر أمثالها » ثلاثة أوجه : أحدها الإضافة ، وعليه جميع القراء إلا يعقوب ؛ ورفع « أمثالها » مع التنوين على الصفة ، وبه قرأ الحسن ويعقوب ؛ ونصبه على التمييز كما تقول عندي خمسة أترباً »<sup>(٥)</sup> . ذكر ذلك الزجاج

(١) الجامع لأحكام القرآن ، ج ٧ ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٥١

(٢) البحر المحيط ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٩ هـ ، ج ٤ ، ص ٢٦١

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، القاهرة ، ١٣٣٠ هـ ، ج ٢ ، ص ٢١٦

(٤) النشر في القراءات العشر ، القاهرة ، مطبعة مصطفى محمد ، ج ٢ ،

ص ٢١٦-٢١٧

(٥) لعل الصواب « أترباً » انظر نص « الفراء » التالي .



والقراء<sup>(١)</sup>» ، وأيضاً عبارة القراء تؤكد أن نصب لام «أمثالها» بما يجوز في النحو وليس قراءة فهو يقول: «... ومن قال: (عشرٌ أمثالها) جعلهن من نعت العشر... ولو قلت (عشرٌ أمثالها) كما تقول عندي خمسة أثواب<sup>(٢)</sup> لجاز<sup>(٣)</sup>» وعلى الرغم مما أصاب عبارة القراء الأخيرة من التحريف وما حرّمته من تمام التحريف فهي مصدرية بـ (لو) ومختومة بـ (لجاز) .

بناء على ما تقدم أكاد أجزم أن تشكيل لام ( أمثالها ) بالفتح في كتاب ابن خالويه للقراءات - كان من سهو ناسخ مخطوطه اليتيمة ، ولعل ابن خالد مؤلف كتاب الحجة ، وقع على هذه العبارة المحرفة فتلقفها من غير أن يتبين أن الصواب رفع اللام ، ثم أضافها إلى كتابه وهو في الاحتجاج للقراء السبعة مع أن قراءة تنوين راء «عشر» من الشواذ ! ولعل الذي أغرى ابن خالد صاحب الحجة بذلك أن ابن خالويه لم يفرق بين الشاذ وغير الشاذ عندما ذكر المائة والخمسين حرفاً ضمن إعرابه قراءات سورة التوبة في كتابه ذي العنوان إعراب القراءات السبع وعللها ، والذي اشتهر بـ القراءات .

ولن يؤيد مذهب صاحب كتاب الحجة ما أتانا به صاحب إتحاف فضلاء البشر الشيخ أحمد الدمياطي الشهير بالبناء ( ١١١٧ هـ ) حيث قال « واختلف في « فله عشر أمثالها » ، فيعقوب: عشرٌ بالتنوين أمثالها بالرفع صفة لعشر ؛ وعن الأعمش: عشر بالتنوين أمثالها بالنصب ؛ والباقون : عشر بغير تنوين أمثالها بالخفض على الإضافة<sup>(٤)</sup> » ، فالدمياطي - على تأخره - لم يبين لنا مصادر قراءات من

(١) تفسير التبيان تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي ، المجلد الرابع ، النجف الأشرف

١٩٦٠ ص ٣٥٦

(٢) الصواب (أثواباً) بالنصب انظر نص الطوسي السابق، فالتمييز يقتضي النصب.

(٣) معاني القرآن ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، ج ١ ، دار الكتب ،

١٩٥٥ م ، ص ٣٦٦-٣٦٧

(٤) إتحاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر ، القاهرة ، ١٣٥٩ هـ ،

## نسبة الحججة إلى ابن خالويه

زادوا على العشرة ، وهم ابن يحيى واليزيدي والحسن والأعمش<sup>(١)</sup> . وهو أيضاً - على تأخره - حاجُّ بسكوت الأئمة السابق ذكرهم عن (التنوين ونصب الأمثال) في (عشر أمثالها) ؛ وبإيراد بعضهم (التنوين ونصب الأمثال) في معرض ما يجوز في النحو ؛ وهو - بعد كل ذلك - ذكر (التنوين ونصب الأمثال) في القراءات الشاذة وليس في قراءات السبعة كما فعل ابن خالد صاحب كتاب الحججة في قراءات الأئمة !!

ولعل نقل صاحب كتاب الحججة نصوص الكتب من غير أن يتبينها هو السبب في عجزه عن العثور على ترجمته بين تراجم المشتغلين بعلم القرآن واللغة ولقد جهدت في محاولة ذلك .

وإذا صح ما ظننته من أن صاحب كتاب الحججة نقل ما يسمى قراءة (التنوين ونصب الأمثال) عن النص المحرف لمخطوطة مراد ملا من كتاب القراءات - أصبحنا في شك مريب من تاريخ مخطوطة كتاب الحججة وهو ٩٦٤ هـ<sup>(٢)</sup> لأن مخطوطة مراد ملا ٨٥٥ هـ كان الفراغ من نسخها في يوم السبت وقت صلاة الضحى في آخر شهر ذي القعدة من شهور سنة ستائة<sup>(٣)</sup> ، ويزيدنا شكاً في ذلك أن مخطوطة الحججة في قراءات الأئمة اليتيمة ظاهرة الحدائث<sup>(٤)</sup> .

## ثامناً - الزبيدي وابن خالويه :

لعل أهم ما بقي من أدلة د. عبد العال سالم لتوثيق نسبة كتاب الحججة إلى الحسين بن أحمد بن خالويه - أن السيد محمد مرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس

(١) المصدر السابق ، ص ٤

(٢) الحججة في القراءات السبع ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣٦

(٣) القراءات ، استانبول ، مراد ملا ٨٥ ، ص ٦٤٨

(٤) الحججة في القراءات السبع ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣٣-٣٦

من جواهر القاموس - اعتمد كتاب الحجة مصدراً من مصادر معجمه<sup>(١)</sup> ،  
ويبدو لي أن سبب ذلك يرجع إلى أن الزبيدي لم يعرف ابن خالويه كما كان  
ينبغي له، ويقوي ما أزعم أن الزبيدي نص في مصادره على فصيح ثعلب وشروحه  
الثلاثة لأبي جعفر الليلي، وابن درستويه، والتدميري، ولم يعتمد شرح الفصيح  
لابن خالويه، ولو اطلع عليه لفعل، ولقد قبس الزبيدي بعض نصوص كتاب  
ليس لابن خالويه<sup>(٢)</sup>، واقتضته أمانته ألا يذكره في مصادره، وغالب ظني  
أنه لم يعاين الكتاب وإنما نقل عن كتاب المزهو للسيوطي<sup>(٣)</sup>، ولو عاين الزبيدي  
مجلدات كتاب ليس الخمسة لنتر ذخاثرها في معجمه، ولو اطلع الزبيدي على  
شرح مقصورة ابن دريد، وإعراب القراءات السبع وعللها، وإعراب  
ثلاثين سورة، وغيرها من مؤلفات الحسين بن أحمد بن خالويه - لاتخذها  
مصادر لمعجمه، ولربما تولى هو نفسه نفي نسبة كتاب الحجة في قراءات الأئمة  
عن ابن خالويه.

وبعد، فلعلي قاربت الصواب فيما قدمت، ولعل الله ينتدب لمن ينهض  
فيسدد رأياً أو يقيل من عثرة. وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه انب.

صبحي عبد المنعم سعيد

منشستر - بريطانيا

- 
- (١) تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، الجزء الأول - تحقيق عبد  
الستار فراج، ١٩٦٥، ص ٦
- (٢) تاج العروس من جواهر القاموس، مادة «السحر»، وقد أرشدني إلى هذا  
القبس الأستاذ عبد الستار فراج في رسالة خاصة، فله الشكر.
- (٣) المصدر الأسبق، ص ٧، والمزهو، للسيوطي، القاهرة، ١٩٥٨،  
ج ٢، ص ٧٩